

رباعيات.. ورباعيات (11) (صلاح جاهين - عمر الخيام - نجيب سرور)
الفصل الثاني: الدراسة المقارنة: ثالثاً: رباعيات نجيب سرور (2)



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة " الإنسان 2020/02/22

السنة الثانية عشرة - العدد: 4557

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

.....
السر المستحيل، والسر البديل

ولو كان هذا الحل هو الحل فعلاً: أنه لا خلاص من الاستسلام إلا بالقتل، لما كان ثمَّ سر يحتاج إلى التساؤل، ولا سعى يبهر كل هذه النقولات بعنفها المنذر، ونحن نلاحظ أن سرورا لا يعلن حيرته أمام القدر أو الحظ مثل الخيام، ولا أمام الغموض الواقعي أو الذاتى مثل جاهين، فهو أبعد ما يكون عن حيرة جاهين أمام التناقضات المتواضعة المتداخلة، فالأمور عنده محولة حَسْماً كما أسلفنا، لكنه يُضبط متلبساً وهو عاجز أمام السر الأعظم، ثم، وهو لا يستطيع احتمال هذا العجز.

ومع الاستسلام المطلق لاستحالة الكشف عن هذا السر الدفين، ينطلق إلى الناحية الأخرى تماماً بكل "اليقين التعويضى"، أى أن سروراً لا يحتفل رحلة السعى المُعانى الذى يضع ذاته فى بؤرة المحاولة، بل هو يصفق أبواب الداخل وراءه لينطلق إلى معركة الخارج دون تردد، حتى لو اكتشف أنه قد أغلق أبواب القبر نفسه، وأنه لم يعد إلا "قدراً" (قتيلاً) يُشهرُ فى وجه القدر (موتا)

نحن أقدار تحدينا القدر

بقتيل قام فى إثر قتيل

(54/23)

ومع ذلك . أو قل لذلك . فقد ضبطناه متلبساً يقول:

يُدفن السر اقتساراً حين نُدفن

كان قبلاً مستكناً فى الصدور

آه من قبرين كيف السر يُعلن

إن يكن يوءد فى كل العصور

(5/7)

فلو أنه سرٌّ فى متناول السعى، ولو أن ذاته كانت قد "أمنت" يوماً حتى أصبحت "رحلة الداخل والخارج" (2) "ممكنة، لكان للأمر وجه آخر، فهل هذا السر هو الذى وراء القَتلة الشنعاء الدائرة على رقاب العباد؟. وكلنا سيصيبه الدور.!!

عندما يُقتلُ زيدٌ أى عمرو

ونرى زيداً كما عمرو قتيلاً

فوراء القتلة الشنعاء أمر

لو كان هذا الحل هو الحل فعلاً: أنه لا خلاص من الاستسلام إلا بالقتل، لما كان ثمَّ سر يحتاج إلى التساؤل، ولا سعى يبهر كل هذه النقولات بعنفها المنذر

أن سروراً لا يحتفل رحلة السعى المُعانى الذى يضع ذاته فى بؤرة المحاولة، بل هو يصفق أبواب الداخل وراءه لينطلق إلى معركة الخارج دون تردد، حتى لو اكتشف أنه قد أغلق أبواب القبر نفسه، وأنه لم يعد إلا "قدراً" (قتيلاً) يُشهرُ فى وجه القدر (موتا)

السر الأعظم من وجهة نظره هو الذى انتقل من قبر إلى قبر (آه من قبرين كيف السر يُعلن)، وما يريد به بالقبرين غير واضح، لكن الأرجح أنه يشير إلى الرحم من ناحية، والقبر من ناحية أخرى

هو سرٌّ سيعنينا طويلا

(7/8)

لا أحسب أن سرورا استطاع أن يقف طويلا أمام أى سر، ومع ذلك ففى المرات النادرة التى تكلم فيها عن هذا السر أو ذلك، بدا حاسما يائسا من أية معرفة له، أو سعى تجاهه، وهو ليس سرا واحدا؛ فالسر الأعظم من وجهة نظره هو الذى انتقل من قبر إلى قبر) آه من قبرين كيف السرُّ يعلن(، وما يريده بالقبرين غير واضح، لكن الأرجح أنه يشير إلى الرحم من ناحية، والقبر من ناحية أخرى، أما السر الآخر الذى يحافظ على الاستمرار حسب قانون البقاء فأحسب أنه احتمال “تكمال الحياة المتناغم حتى أعلى مراتب الأكوان المفتوحة”، وهذا ما يؤسس منه سرور أصلا وأبدا، أو لعله لم يبدأه أصلا، أو ربما هو لا يعرفه ولا يريد أن يعرفه، بل يصر على رفضه ابتداء؛ جزاء خيانة الآخرين له، وربما يكون سرور قد اندفع وهو يعلن وجود هذا السر بهذا الحسم، إلا أن مسيرة رباعياته لا تدل على أنه كانت له أية فاعلية حقيقية فى تهدئة المعركة أو فتح باب المراجعة؛ بل إنى تصورت أن هذا هو السر الذى يؤسس حتى من أمل أن يتحقق فى أجيال تالية، بعد أن عجزنا أمامه؛ فالسرقة ممتدة الأثر أبدا.

سرقوا حتى أغانى لطفى

ربما أودعتها ”السر (3) ”المصون

(204/79)

ولكن ما شأن السر الآخر؟ لعله عكس هذا تماما، لعله نابع من العجز، ذلك السر الآخر الكامن وراء القتل المتلاحق من زيد إلى عمرو، إلى نجيب إلى غيره...!! ذلك السر ”وراء القتل الشنعاء“، هو الذى ”سيعنينا كثيرا“. أقول مرة أخرى فى ذلك: إنه وصلنى أن هذا السر هو ”غريزة الموت“ التى انطلقت لتعلن عجز الحياة، وانفصال العدوان عن الكل المتناغم ليصبح تحطيم متلاحقا، لا يستطيع أحدنا أن يفر منه؛ فالكل منا سيصيبه الدور لا محالة، والمسألة مسألة وقت.

نجيب سرور إذن يرفض ابتداء محاولة كشف سرِّ مستحيل التناول (السر الأول أمل تكامل الحياة). (وهو يضعه بعيدا عن متناول البحث ابتداءً، وبالتالي فلا معنى للاقتراب منه أصلا، ولا جدوى من الدوران حوله؛ ثم هو يمارس نتائج السر الثانى (حتم الموت)، دون النظر فى طبيعته، أو علاقته بالأول.

وهكذا يختلف سرور عن الخيام وجاهين فى ”ماهية السر“ والموقف منه.

السر عند جاهين يدور حول بحثه الوجودى الحى؛ لتحديد معالم ذاته، وأبعادها ومراميتها وعلاقاتها، فالسر عند الخيام يتعلق بتناقضات الاختيار، وخبايا القدر ومفاجآته، وإيقاع حركية الحياة داخله وخارجه، أما سرور فهو يعلن استحالة الرؤية، ولاجدوى السعى لكشف السر أو تحقيقه، فيمضى يحطم القدر بما حوى، جاهين يكاد يفرح بسرّه كأن هذا السر هو وجودٌ فى ذاته، أو هو من طبيعة الوجود، أو هو متمم للوجود، وهو يتجول فى سراديبه دون خوف معوّق، وكلما اكتشف سردابا أناره بالقبول الواعى؛ ولكنه سرعان ما يكتشف أن النور كشف له عن سراديب جدد، وماذا بهم؟ بل لعل هذا من طبيعة مبررات دوام الحركة عند جاهين.

الخيام يقف حائرا أمام سره، يعلن عجزا نسبيا وضمنيا، ويمضى نحوه متواضعا، ثم يهرب منه فى وهم اللذة، ما أمكن ذلك، ويدعونا لمشاركته.

أما سرور فهو يعجزنا ويعجز نفسه من البداية، فيظل السر مصونا عنده وهو يخفيه عنا، وما دام كُشف السر مستحيل، فالتدمير مبرّر، والهجوم متواصل.

وراء سر سرور القاتل: حفز التحطيم والتدمير.

أما السر الآخر الذى يحافظ على الاستمرار حسب قانون البقاء فأحسب أنه احتمال “تكمال الحياة المتناغم حتى أعلى مراتب الأكوان المفتوحة

نجيب سرور إذن يرفض ابتداء محاولة كشف سرِّ مستحيل التناول (السر الأول أمل تكامل الحياة). وهو يضعه بعيدا عن متناول البحث ابتداءً، وبالتالي فلا معنى للاقتراب منه أصلا، ولا جدوى من الدوران حوله؛ ثم هو يمارس نتائج السر الثانى (حتم الموت)، دون النظر فى طبيعته، أو علاقته بالأول.

السر عند جاهين يدور حول بحثه الوجودى الحى؛ لتحديد معالم ذاته، وأبعادها ومراميتها وعلاقاتها

السر عند الخيام يتعلق بتناقضات الاختيار، وخبايا القدر ومفاجآته، وإيقاع حركية الحياة داخله وخارجه

أما سرور فهو يعلن استحالة الرؤية، ولاجدوى السعى لكشف السر أو تحقيقه، فيمضى يحطم القدر بما حوى

جاهين يكاد يفرح بسرّه كأن هذا السر هو وجودٌ فى ذاته، أو هو من طبيعة الوجود، أو

وراء سر الخيام الحائر :صرخة الألم والجوع للذة.

وراء سر جاهين الدائر :دفع الحركة ودوامية النبض.

الشقاء .. والألم .. والغيب

إذا كان الخيام قد أعلن الشقاء تجنباً للألم، وتبريراً لطلب اللذة، فإن سروراً لم يطق إعلان الشقاء أو الألم أصلاً.. واستبدل بهما غيظاً حانقاً (من غيظ موتانا ثقات)؛ في حين أن جاهين واجه ألمه، الذي أفرز طبيئته، وأورق زهوره.

وعلى الرغم من أن سروراً لا يعلن ألمه مباشرة، فإنه يستحيل على أي قارئ لرباعياته أن ينسى هذا الألم الذي يعانیه سرور، ولو للحظة واحدة؛ فالقارئ يرى هذا الألم في إغارة سرور وانسحابه (كره وفره)، وفي صمته وكلامه، في كمونه وانفجاره، هو ألم رفيع يأبى أن يعرض نفسه أصلاً من فرط يأسه من أي مشاركة، وعجزه عن أي حل حقيقي، هل يمكن أن نخطئ ألمه وهو يقول :

1- قد ولدنا بين أظفار القوابر

ويوارينا غراباً بالأظافر!

(30/15)

أو 2- صوّبوا للظهر آلاف الخناجر

ثم ساقونا وقالوا: شهداء

(33/16)

أو 3- كلنا في مربط الخيل قنابل

(51/22)

أو 4- ها أنا كالطعم في دار الجنون

فاخنقوا الأشواق.. كونوا كالحجارة

(219/84)

أو 5- يا إمامي ليس للإنسان عورة

إنه الصيد مباحاً للنسور

(205/79)

أو 6- جربوا الثكل فكم جاء عتيا

يعصر التحنان في دمع الضروع

(167/68)

أحسب أنه يكفي هذا (أو بعض بعضه) لتبيان نوع الألم الدفين الذي لم يهدأ أبداً، والذي يكمن وراء هذه الإغارات القاتلة بكل أشكالها.

ولقد صاحبنا الخيام وهو يتلوى، بإرادة نسبية، في مجمر الألم، وبالتالي فقد تحملنا إلى درجة ما شره المتطايير، بعد أن احترمنا وقتته المضطربة - جزئياً - داخل النار المقدسة، ولكننا نحتاج إلى جهد خاص حتى نستطيع مشاركة سرور ألمه الأبلغ والأقسى، وهو يخفيه في ثنيات مرارة وجوده، وهو لا يكاد يعلن معاناته بتلميح أو إسقاط أو تعميم؛ حتى يلحقها بالحكم الدامغ والحل القاتل. فكم رأيته يشحن بألمه - دون إبطاء - مدفعيته الثقيلة، ويتوكل على الذي قتله، وهات يا قتل.

.....

.....

ومازلنا مع نجيب سرور إلى الأسبوع القادم في (الفخر .. والهزاء)

- [1] المقتطف من كتاب "رباعيات ورباعيات" (الطبعة

هو متمم للوجود، وهو يتجول في سراديبه دون خوفه معوّق، وكلما اكتشفه سرحاباً أثاره بالقبول الوااعي؛ ولكنه سرعان ما يكتشفه أن النور كُشفه له عن سراديبه جدد

الخيام يقف حائراً أمام سره، يعلن محبناً نسبياً وضمينياً، ويضئ نحوه متواضعاً، ثم يهرب منه في وهم اللذة، ما أمكن ذلك، ويدعونا لمشاركته

أما سرور فهو يعجزنا ويعجز نفسه من البداية، فيظل السر مصوناً عنده وهو يخفيه عنا، وما دام كُشف السر مستحيل، فالتدمير مبرّر، والصجوم متواصل

وراء سر سرور القاتل: حفز التحطيم والتدمير. ووراء سر الخيام الحائر: صرخة الألم والجوع للذة. ووراء سر جاهين الدائر: دفع الحركة ودوامية النبض

لقد صاحبنا الخيام وهو يتلوى، بإرادة نسبية، في مجمر الألم، وبالتالي فقد تحملنا إلى درجة ما شره المتطايير، بعد أن احترمنا وقتته المضطربة - جزئياً - داخل النار المقدسة

نحتاج إلى جهد خاص حتى نستطيع مشاركة سرور ألمه

الأولى 1979، والطبعة الثانية (2017) والكتاب متاح في
مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى دار المقطم للصحة
النفسية شارع 10، وفي مركز الرخاوي: 24 شارع 18 من شارع
9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا بموقع
المؤلف www.rakhawy.net وهذا هو الرابط.
- [2] رحلة الداخل والخارج in and out program " هي
الرحلة التي أشار بها " جانترب " (مدرسة العلاقة
بالموضوع) شرحا لحركة الإنسان نحو الموضوع في الخارج، ثم
انسحابه إلى الذات، وكذلك تعبيراً عن حركة النمو
النبضية، التي تشمل نكوصاً أقل، واندفاعاً أكبر باستمرار،
وهذه الحركة طبيعية وضرورية لتحقيق النمو المرن المستمر
طالما أن ذراع التقدم أطول من ذراع التأخر (الانسحاب) مع
كل نبضة نمو.
- [3] علامتا التنصيص في الأصل الشعري لسرور

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD220220.pdf>

*** **

مؤسسة العلوم النفسية العربية

معاً نصل أبعد...

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2020 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السابع)

الشبكة تطفئ شمعتها التاسعة عشر وتدخل عامها العشرين من التأسيس

19 عاماً من الضج... 17 عاماً من التواحل "

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

(رابط الكتاب)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

مؤسسة العلوم النفسية العربية

معاً... نذهب أبعد

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2020

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

اشتراكات عضوية مدفوعة لدعم المؤسسة

اشتراكات العضوية بالدفع الإلكتروني

1 - عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3

2 - عضوية "الشريك الفخري الماسي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3

3 - عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3

- اشتراكات العضوية بالتحويل البنكي (بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3)

مرفق رابط مستند الهوية البنكية للمؤسسة

www.arabpsynet.com/APF-IBAN.pdf

- اشتراكات العضوية بالتحويل عن طريق الويسترن يونيون (بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3)

Dr. Jamel TURKY (Sfax - TUNISIA)
ARABPSYFOUND President